بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

لايزال العديد من الناس يتساءلون عما إذا كانت العلوم الروحية تندرج تحت قائمة المحرمات أم المحللة! لذلك آثرنا أن نستهل هذا التمهيد بموقف الإسلام من العلم ومن الروح. فلقد بدأت شريعة الإسلام بفعل أمر عام موجّه للجميع، إذ يقول القرآن: ﴿ **اقْرأْ باسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ * خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذي عَلَّمَ بالْقَلَمِ** ﴾ [العلق: ١ – ٤].

وهي آيات تدفعنا إلى تأمل الخلق والوجود من حولنا، أو كما يقول الفقهاء؛ تحث على قراءة الكتاب المنظور والكتاب المسطور حتى نزداد علماً وتقدماً.

والثابت أن القرآن الكريم لا يحرّم الاقتراب من مجال الروح، إذ تقول الآية بوضوح: ﴿ **وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ [الإسراء: ٨٥]. وتحديد أن الروح من أمر ربنا سبحانه وتعالى، ومما أبدعه من مخلوقات، يتضمن في الآية ذاتها التي تتواصل بلا علامة وقف أن ذلك القليل المذكور من العلم يعني في الوقت نفسه أننا كلما تعمقنا فيه زدنا وعيا بضآلة علمنا، فلا نهاية للعلم، ولا تحمل الآية معنى المنع أو التحريم، بل هي تحثنا على مواصلة العلم والتعلم وعلى نشر العلوم وإحيائها والتحذير من شطط كتمانها أو مناهضتها، وأهمها أن نتدبّر القرآن.

ومن اللافت للنظر أن التعريف بالنظرية الروحية ينطوي على الكثير من

التعاليم الإسلامية، فمن أهم ما تؤكده الأرواح العليا أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وأن الأمر كله مرجعه إليه، فهو واحد أحد، لا شريك له فى الملك، كما تحثنا الأرواح العليا أيضًا على مواصلة العلم والتعلم، ومن هنا كان واجبنا متابعة التقدم الذى يطرأ على مختلف المجالات.

ويُعد كتابنا هذا بمثابة إطلالة على ما بلغه علم الروحية فى الغرب وخاصة فى فرنسا، وعودة إلى فتح الباب من جديد، على الأقل هنا فى مصر، بعد رحيل جيل الرواد الذى حمل على عاتقه رسالة التعريف بالعلوم الروحية حتى منتصف القرن العشرين تقريبًا.. ذلك الجيل الذى كان من رواده الأساتذة الدكتور رؤوف عبيد، والدكتور على عبدالجليل راضى، والأستاذ أحمد فهمى أبو الخير وغيرهم.. وكان من رواده السبَّاقين الشيخ طنطاوى جوهرى رحمه الله وكتابه القيم عن «الأرواح» الصادر عام ١٩٢٠.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

ولا ينتمى علم الاتصال بالأرواح إلى السحر أو إلى الخرافة والشعوذة، فهو علم راسخ استنبت أصوله وقواعده خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر خاصة فى فرنسا، بناءً على رؤية وملاحظة تجليات العالم الغيبى بطرق علمية لا تدع أى مجال للشك. ومن أهم الظواهر التى تأكدت بالملاحظة والتجربة: خلود الروح، وإمكانية الاتصال بمن انتقلوا إلى العالم الآخر، وعلم الوساطة الروحية بأنواعها، وإقرار ظاهرة إعادة التجسد.

وهذا العلم له فلسفته التى تجيب على العديد من تساؤلات الإنسان الجوهرية، ومنها: من أين أتينا؟ ومَنْ نحن؟ وإلى أين نحن ذاهبون؟ وإلى أولئك الذين يتساءلون عن معنى الحياة وعن استمرارها بعد إيداع الجثمان القبر، يقدم علم الإتصال بالأرواح إجابات واضحة ممن انتقلوا وعادوا ليضعوا ما يدور فيما يطلق عليه «عالم الغيب».. ذلك العالم الذى كان الإيمان به أول ما فرضه الله سبحانه وتعالى على الناس، حيث يقول: ﴿ **الٓمٓ * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** ﴾ [البقرة: ١ – ٣].

وتؤكد الدراسات الروحية بمختلف أبحاثها وفروعها وجود الروح وخلودها إضافة إلى غير ذلك من الظواهر – وإن كانت ليست أمراً جديداً على المسلمين، ومنها:

- التعريف بالله بوصفه الأصل وخالق كل ما فى الوجود من عوالم وأكوان، وإنه طاقة محبّة، قيوم أزلى، واحد أحد لا إله إلا هو.

● رفض نظرية تأليه السيد المسيح مع حسبانه أحد أنبياء الله ورسله المرسلين.

● أن عالم الغيب هو المجال الطبيعي للروح، يقع خارج المادة، ويضم أرواح من عاشوا على كوكب الأرض أو على كواكب أخرى وانتقلوا.

● أن الروح عند بداية خلقها تكون بسيطة قليلة الخبرة ثم تمر عبر مختلف التجارب وتتطور عن طريق تجسداتها – ولعل هذه النقطة بالذات هي من بين أهم نقاط الخلاف بين التفسير الديني للفقهاء في الإسلام والمفاهيم الروحية.

● أن الاتصال بين الناس والأرواح أمر ممكن عن طريق أولئك الذين يتمتعون بملكة الوساطة الروحية بمختلف أنواعها ومجالاتها.

● أن العالم المرئي يعيش وسط العالم اللامرئي وهو على صلة متواصلة به، يؤثر كل منهما في الآخر.

● إن الأمنية الكبرى للأرواح هي إدراك الإنسان لإمكاناته الروحية، وأن يُتوج هذا الإدراك باتصاله بالعالم الآخر للمعاونة في تطوير المجتمعات إلى ما هو أفضل.

● **نبذة تاريخية عن المجال الروحي:**

ويعنى تناول موضوع الإتصال بعالم الروح في يومنا هذا، التعرض لتاريخ ممتد عبر الزمن، أحاله الجهل بحقيقته إلى مسخ هزلي.. وتراكمت الأفكار المعادية لهذا المجال حتى بات يعدو في نظر البعض مجرد مشاهد مسلية لموائد متحركة أو أطباق متطايرة.

ومرد محاولة استبعاد هذا المجال عن حياة الإنسان في الغرب إلى أنه يقدم تفسيرات مغايرة لتلك التي تقدمها الكنيسة، فضلاً عن تعارضها مع الموروثات العقائدية التي تفرضها. فالمجال الروحي علم يغوص في أعماق الطبيعة الإنسانية، ويتناول أصل الروح ومصيرها وعلاقاتها بالعالم المادي، ويبحث في المتغيرات الأخلاقية ويقدم الدليل على استمرارية حياة الروح بعد انتقالها إلى العالم الآخر. إلا أن أهم ما يركز عليه هذا العلم ويؤكده بإصرار هو وحدانية الله

عز وجل وأنه ليس كمثله شيء. ومن هنا فهو ينكر مبدأ تأليه السيد المسيح ومساواته بالله سبحانه وتعالى، وهو ما قام به أساقفة الكنيسة العابثون فى مجمع نيقية الأول سنة ٣٢٥م. ومن ثم استنكرت العلوم الروحانية فكرة تأليه السيد المسيح وكل ما واكب هذه العملية من تحريف لعقيدة التوحيد بالله، وانتهت إلى أن السيد المسيح رسول من الرسل ونبى من الأنبياء.

ويضيف العالم ليون دنى قائلاً فى كتابه عن «**المسيحية والروحية**»: «نظراً لكل ما تم من تغيير فى الأناجيل فلا يمكن اعتبارها أنها تتضمّن «كلام الله» كما يزعمون، بل ولا حتى «كلام موحى به».. إنها مجرد قصص تاريخية وأسطورية بها بعض التعاليم الراقية التى تجاور تفاصيل تصل أحيانا إلى درجة السوقية».

ويقول معلقًا حول مصداقية الأناجيل: «أن البحث الدقيق فى الأناجيل يوضح أنه فى القرون الأولى التى كان فيها العالم المسيحى يموج وسط المناقشات والاضطرابات، لم يخشوا تزييف الحقائق وتحريف المعنى الحقيقى للأناجيل بغية اختلاق أدلة لما يقومون به من تغيير. بل يقول المؤرخ سلسيوس فى كتابه المعنون «**الخطاب الحقيقى**» حيث يلوم المسيحيين «أنهم كانوا منذ بدايات القرن الثانى يعدلّون ويبدّلون فى نصوص الأناجيل وفى اليوم التالى يعدلون ما أضافوه بالأمس»!

ويؤكد ليون دنى «أن العديد من الوقائع تبدو خيالية ومحشورة حشرا، وذلك من قبيل مولد يسوع الناصرى فى بيت لحم، ومذبحة الأبرياء التى لا ذكر لها فى التاريخ مطلقًا، وهروب العائلة المقدسة إلى مصر، ونسب يسوع المزدوج المتناقض بين متى ولوقا..

«كيف يمكننا مثلاً أن نؤمن بقصة إغواء الشيطان ليسوع فى نفس ذلك العهد الجديد الذى تزعم الكنيسة أنه يتضمن الأدلة الدامغة عن ألوهية يسوع؟! كيف يمكن للشيطان أن يستدرج يسوع على الجبل ويعرض عليه مملكة العالم بأسره إذا ما خضع إليه؟

«إذا كان يسوع الله فعلاً، هل يمكن للشيطان أن يجهل ذلك؟ وإذا كان يعرف بطبيعته الإلهية كيف يأمل فى التأثير عليه؟!

«إن بعث اليعازر، وهو أكبر معجزات يسوع قاطبة وارد فقط فى الإنجيل الرابع الذى يقال أنه صيغ بعد وفاة المسيح بأكثر من ستين عامًا، فى حين أن أقل ما قام به من عمليات استشفاء واردة فى الأناجيل الثلاثة الأخرى.. إن ذلك الإنجيل الرابع إضافة إلى جهود القديس جوستان قد قام بالتطور العقائدى القائم على إحلال فكرة الإله الذى تجسد بشراً بدلاً من فكرة الإنسان الذى أصبح إلهًا! فبعد إعلان الوهية المسيح فى القرن الرابع، وبعد إقحام عقيدة الثالوث فى النسق الكنسى قهراً فى القرن السابع، تم تعديل أجزاء متعددة فى العهد الجديد حتى يجعلوه يعبّر عن العقائد الجديدة (راجع يوحنا إصحاح ١، ٥، ٧)».

ويضيف الأب لبلوا راعى كنيسة سترا سبورج فى كتابه المعنون «**الأناجيل والمبتدعون الدينيون**» قائلاً: «لقد رأينا فى المكتبة الوطنية بباريس، وفى مكتبة سانت جنيفيف، ومكتبة سان جال مخطوطات إضيفت إليها عقيدة الثالوث على الهامش. وبعد ذلك بكثير تم حشر هذه الإضافة فى متن النص نفسه حيث لا تزال موجودة»!

وهذا الموقف من جانب علماء الروحية هو الذى دفع بالكنيسة إلى إدانة هذا العلم.. إذ نطالع فى **قاموس الديانة الكاثوليكية** (طبعة ١٩١٣)، تحت عنوان «علم الأرواح»، المادة التالية: «على عكس ما نطالعه فى إنجيل يوحنا (١ : ١٤)، فإن علم الأرواح يرى أن السيد المسيح ليس إلا بشراً، له مكانته، لكنه مجرد إنسان، وأن المسيح ليس الله بالطبيعة، وأنه رسول الله، وهو من الحكماء، ولعله من أكبر الحكماء وبشّر الإنسانية بالمحبة، كما يعد أحد كبار الروحانيين. إنهم يعتقدون بأنهم يكرّمونه بإضفاء هذه السّمة عليه. وحتى وإن بوّؤه قمة البشرية فهو يظل فى أنظارهم إنسانًا فحسب. وإنكار ألوهية المسيح فى علم

الأرواح من الوضوح بحيث اضطرت الكنيسة إلى عدم الاعتراف به ورفضه وإدانة هذا المذهب برمته»!

ومع ذلك فقد أدت الاكتشافات المترتبة على الدراسات الروحية إلى تغيرات جذرية فى الأصول المتعسّفة الصادرة عن المجامع الكنسية. فلقد ثبت بما لا يدعو إلى الشك أن المجال الروحانى كان موجوداً بالفعل منذ القِدَمْ، ومنذ ظهور الإنسان على وجه البسيطة. فإذا ما ألقينا نظرة خاطفة على تاريخ الإنسانية، وانتقينا منه بعض الظواهر التى تُعد حالياً بمثابة الأسس المكونة للثقافة العالمية الحالية، منذ عصور مصر الفرعونية القديمة وعصر الإغريق حتى حقبة الشعب الكلتى وكهنته، ومنذ تاريخ شعوب أمريكا الأصليين، وجدنا التاريخ يكشف عن معلومة مؤكدة هى: إن الإنسان، منذ فجر التاريخ، ومع تنوع سكان القارات، كانت له دراية ومحاولاته الناجحة فى الإتصال بالمجال الغيبى، وأن العنصر الروحى قد شغل انتباهه. وذلك ما تؤكده الآثار الباقية أو تلك التى صمدت أمام التآكل الناجم عن مرور الزمن.. ويكفى أن نلقى نظرة خاطفة على أعمال تاسيتوس، وهيرودوت، وأفلاطون وغيرهم، فهى أعمال زاهرة بالوقائع الدقيقة المحددة التى تتعلق مباشرة بالظواهر التى يتناولها علم الإتصال الروحى كالوساطة الروحية وعلم الخصائص المغنطيسية والجلاء البصرى أو السمعى وغيرها..

وبمعنى آخر إن فكرة وجود المجال الغيبى وعالم الروح هى حقيقة قديمة قِدَمْ هذا الكون، بل هى أكثر الأفكار إنتشاراً على مر التاريخ، ولم يوجد أى حائل أمامها سوى عجرفة التعصب الغربى وجنوحه إلى فرض مبدأ سيادة المادة بأنواعها واعتبارها الدين الرسمى للبشرية. وتعنى محاولة فرض هذا المبدأ تجاهل حضارة آسيا والملايين من سكانها المؤمنين بإعادة التجسد، وغض النظر عن إيمان سكان القارة الإفريقية الراسخ بدورة حياة الروح بعد الموت، وعن علوّ كعب سكان الأمريكتين من الهنود الحمر ورسوخ أقدامهم فى هذا الشأن..

ومن هنا يمكن القول بأن نظرية العدم بعد الموت هى نظرية تمثل الأقلية من سكان هذا الكوكب، وأن علم الإتصال بالعالم الروحى قائم منذ أقدم العصور، سواء أكان محاولات تلقائية أم نتيجة بحث ودراسة، فهى بلا شك محاولات اعترت الإنسانية بأسرها على مرّ الزمان.

● بداية علم الإتصال الروحى الحديث:

اتفق الرأى على اعتبار بداية علم الإتصال الروحى فى العصر الحديث ترجع إلى عام ١٨٤٧ والشقيقتين فوكس، بمدينة هايدسڤيل الصغيرة بولاية نيويورك. وعلى الرغم من أن هذا التحديد غير دقيق، إلا أن الإتصال بين العالمين كان قائمًا وممتدًا دون توقف، لكن الأحداث التى وقعت بتلك المدينة أدت إلى طرح هذا العلم على الناس فى شتى وسائل الإعلام محليًا وعلى الصعيد الدولى.. وبعد موجة ازدهار أشبه ما تكون «بالبدعة» غدت أعجوبة تحريك الموائد أشبه ما تكون بالألعاب الاجتماعية. غير أن بعض رجال العلم لحسن الحظ مالبثوا أن انكبوا على دراسة هذه الظواهر ومحاولة تفسيرها علميًا.

ويعد الدكتور هيبوليت ريڤاى من أوائل أولئك العلماء فى فرنسا، وكان حائزًا على شهادتى الآداب والعلوم، ويتحدث الإنجليزية والألمانية والهولندية بطلاقة إلى جانب لغته الأم، وله العديد من المؤلفات المدرسية والجامعية التى كانت الجامعات الفرنسية قد اعترفت بأهميتها. وحتى عام ١٨٥٤، لم يكن الدكتور هيبوليت ريڤاى يرى فى قصص تحريك الموائد المنتشرة إلا تُرّهات للتسلية وإزجاء أوقات الفراغ.. وبعد إلحاح من بعض أصدقائه أعضاء الأكاديمية الفرنسية للعلوم، كرّس الدكتور ريڤاى عامًا كاملاً لدراسة تلك الظاهرة الروحية علميًا، وخرج من هذه التجربة العلمية ليؤكد عن اقتناع ويقين، اعتمادًا على ما سجّل من ملاحظات وما اتخذه من احتياطات دقيقة صارمة، أن الروح لا تموت أو تفنى، وأنها تواصل الحياة بعد الموت. وما أن كرّس حياته وجهوده بعد ذلك لدراسة القوانين التى تربط بين عالم البشر وعالم مَنْ انتقلوا إلى العالم الآخر،

ليغدو واحدا من أنبغ رواد هذا العلم فى فرنسا، وصدرت أعماله فى هذا المجال تحت اسم آلان كاردك. وما لبث فوج من العلماء أن اقتدوا به وواصلوا رسالته.

وانتقل آلان كاردك إلى العالم الآخر عام ١٨٦٩، بعد أن استخلص القوانين الأخلاقية والفلسفية المترتبة على الإتصال بالعالم الروحى، وبعد أن أرسى المبادىء الأولى للتعريف بالوساطة الروحية، وانخرط فى تفسير نظرية عودة التجسد عن طريق المنطق، كما انبرى يحلّل ويفنّد سائر الاعتراضات التى واجهت ذلك العلم الحديث القديم، وتكفّل بالتعريف به وتقنينه على مدى خمسة عشر عاما، مخلّفًا وراءه حقلاً خصبًا ينتشر فى كل بقاع أوروبا وأمريكا عبر العديد من الدوائر والجمعيات الروحية، وأعداد لا حصر لها من الكتب والمجلات والأبحاث العلمية التى تتناول مختلف جوانب هذا المجال.

ومن أشهر الشخصيات التى عزّزت آراء كاردك بأبحاثهم المخترع توماس إديسون، والباحثان الفزيائيان بيير ومارى كورى، وعالم الفَلَكْ كامىّ فلاماريون، والكاتب الفنان الروسى سرچى اكساكوف، والطبيب الإيطالى تشيزارى لومبروزو، والكيمائى البريطانى سير ويليام كروكس، والعالم ليون دنيس، وجبرييل ديلان الذى أصبح من كبار الباحثين فى هذا المجال وله العديد من المؤلفات فى الروحية، وعالم الطبيعة الإنجليزى سير أوليڤر لودج بجامعة برمنجهام. وما كان هذا التوجه الدؤوب اللافت للنظر من جانب العلماء وانكباب المجتمع العلمى على دراسة مختلف مجالات علم الإتصال الروحى إلاّ تلبية لرغبة الأرواح ذاتها التى طالبت العلماء بالبحث والدراسة والرد بالقرائن العلمية على المتشككين.

وجرى العرف على تسمية تلك الفترة، فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، بفترة القرائن والأدلة، فقد تضاعفت تجارب الجلسات الروحية المنعقدة تحت رقابة وملاحظة علماء كل ما كان يشغلهم ويعنيهم هو الدقة العلمية فى أكثر الظروف صرامة من حيث الأمانة الموضوعية.

ومما يسترعى النظر أن جميع من عكفوا على دراسة هذا العلم بمختلف ميولهم وتخصصاتهم قد تحولوا إلى روحانيين شديدى الإيمان والاقتناع بوجود الروح وخلودها، بل وبإمكانية إتصالها بعالم الأحياء... ومنذ عام ١٨٥٠ حتى ١٩١٠ عرف علم الإتصال الروحى ازدهاراً متزايداً مبهراً، إلا أن اندلاع الحرب العالمية الأولى أفضى إلى توقف هذه الدراسات لتعود من جديد فى أواخر العشرينيات من القرن العشرين.

وشاءت الأقدار فى تلك الآونة أن ينتقل خلالها معظم كبار قادة الروحية إلى بارئهم، فى الوقت الذى التهبت فيه الأزمة الاقتصادية التى احتوت فى طياتها بوادر مأساة الحرب العالمية الثانية.. ولقد أدى تضافر هذه الأحداث إلى تراخى أنشطة الأبحاث الروحية، فلم تعد الدوائر الروحية متآلفة أو تعمل تحت قيادة علماء تميزوا بتفوق مستواهم العلمى، وراح كل واحد يعمل على هواه بشكل فوضوى دون رقابة، ضاربين بتعاليم الرواد عرض الحائط.. وعلى الجانب الآخر بدأت تطفو على السطح نظريات «اللاوعى» وغيرها من النظريات غير المؤكدة أو المتناقضة المتضاربة، كما تدفقت تيارات الشعوذة والإدّعاء وسوء استغلال علم الروحانيات.

وأكثر ما عاق الدراسات الجادة مثل تلك المحاولات السابقة خلال القرن التاسع عشر هو أن كثرة من الباحثين انبروا يدرسون العلوم الروحية تحت مظلة استبعاد كل ما يتعارض مع عقائد الكنيسة وتعاليمها، فإذا الأبحاث المتعلقة بمجال ما وراء النفس (métapsychique) تتدفق، وإذا هذا العلم يتحوّل إلى ما يعرف بـ« ما وراء علم النفس » (parapsychologie). وكل ما اهتم هذا العلم بإثباته هو أن جميع الظواهر الروحية تندرج ضمن قائمة أنشطة العقل وانعكاساته.

● **علم الاتصال الروحى اليوم:**

تتميز الدوائر الروحية اليوم بالصرامة المتناهية فى الدقة والمراقبة خلال محاولاتها الدؤوبة لإحياء الأبحاث السابقة للرواد مع إضفاء بُعد ثقافى جديد عليها – لا سيما بعد أن ولّى زمن زخم تجارب التأكد واليقين.

وما لبثت «الظواهر المادية» أن أعقبتها «ظواهر فكرية»، ولم يعد العالم الآخر يتجلّى بمثل ما كان يتجلّى سابقًا حتى نزداد يقينا بوجوده، وإن ظل يطالبنا بالمزيد من الفهم وإمعان الفكر. فبعد أن أثبتت الأرواح وجودها واستمرارية حياتها بعد الموت، إذا هى تطالبنا اليوم بتأمل الواقع المرير الذى نخوضه والتحولات التى طرأت على كوكبنا البائس الذى يغصّ بسكان يقضون نحبهم جوعًا وبردًا، لا لغياب الثروات وإنما لانعدام المحبة والعطاء بين الناس واشتعال الأنانية العمياء.

فالروحية رسالة غايتها وضع حد للآلام والمعاناة على الأرض التى تنعكس آثارها على السماء.. والطابع المميز للعلم الروحانى اليوم فى الدوائر الروحية الفرنسية هو رسالة إسعاد البشر وتحريرهم من أية سيطرة عقائدية محرّفة، والتعريف بالروحية الحقة على الصعيد العالمى، والربط والتآخى بين الجمعيات الروحية الدولية. وتلك هى محاور المؤتمر العالمى الرابع للروحية الذى انعقد بباريس فى مطلع شهر أكتوبر ٢٠٠٤.

● **غاية الروحية:**

وفى جلسة روحية انعقدت فى العاشر من شهر مارس ١٩٨٥، تحدثت روح العالم آلن كاردك عن طريق الوساطة بالطرح، قائلاً:

«إن وجودنا بين البشر فى هيئتنا الروحية يقتضى أن نتوصّل إلى إجابات شافية لمعظم مشكلات الأرض. والاتصال بالعالم الروحى يتطلب جهدًا من العاملين فى هذا المجال بغية التغلب على الجهل فى كافة المجالات. فالروحية تتواءم مع المعايير العلمية والفلسفية الإنسانية.

« وعلى الإنسان الروحى، المدرك لخلود روحه ولنسبية معلوماته ومعارفه، الاستعانة بالمجال اللامرئى بهدف تطوير وعيه والسعى إلى إيجاد مجتمع أكثر عدالة على مستوى الكرة الأرضية. فالروحية تتجه إلى كل التوّاقين إلى المعرفة وإلى التحرر العقلانى والفكرى من الأفكار المسبّقة، وهم مؤمنون بأن ذلك الجسد المؤقت الذى يسكنونه مطالب بالارتقاء بروحه وتطويرها إلى مالا نهاية، كما يدركون أن الكون الواسع زاخر بآلاف الكواكب المترعة بسكانها، وألا مندوحة عن اختفاء عنف القوة الغاشم الذى يجتاح كوكبنا.

« فالإنسان الروحى ينبذ الشعوذة بعقله الواعى، ويدرك أن الرد الوحيد على الشر هو مزيد من الحب للآخرين، ومزيد من العلم والمعرفة. كما أنه يعرف من إدراكه للإيقاع الطبيعى للتطور الكونى أن الصراع من أجل الخير يتطلب منه معاونة الأرواح الضعيفة التى تحوم حول كوكبه وتؤثر على الذين لا دراية لهم بما يدور حولهم.

« إن الإنسان الروحى يدرك تفرّده وأن هذا التفرد لا قيمة له دون الآخرين الذين يتعيّن عليه أن ينبرى لمعاونتهم فى التمهيد لمستقبل أفضل، يعتمد على ما يستقبله من أنوار ولُمح الرسائل. فكل الكائنات الحية فوق هذه الأرض وفى الكواكب الأخرى الآهله تتطور وتتقدم على صراط واحد هو المزيد من التقرب من الله ».

● **إعادة التجسد:**

وقد يكون من المفيد إلقاء نظرة خاطفة على ما قدمه الغرب والمدارس الروحية الفرنسية تحديداً حول مبدأ « إعادة التجسد »، أو مبدأ « الحيوات المتتالية »، والذى يطلقون عليه اسم « palingénésis » المركب من كلمتين يونانيتين: « بالين » أى من جديد و« چينيزيس » أى ميلاد. وقد جرت صياغة هذه العقيدة منذ فجر التاريخ فى الحضارة الهندية، حيث تطالعنا أسفار الڤيدا بعبارة « مثلما نخلع ثيابنا البالية لنرتدى ثيابا أخرى هكذا تخلّف الأرواح أجسادها البالية لتسكن أجساداً جديدة ».

وكان فيثاغورس هو أول القائلين بمذهب حيوات الروح فى اليونان القديمة بعدما المّ به خلال أسفاره المتعددة لمصر القديمة وبلاد فارس، وإذا بأفلاطون يتبنى المبدأ الذى نادى به فيثاغورس قائلاً: «من المؤكد أن الأحياء يولدون من الأموات؛ وأن أرواح الموتى تولد من جديد» (فيدرا). ونعرف أن المدرسة الأفلاطونية الجديدة بالاسكندرية كانت تنادى بنظرية عودة التجسد كما حددت الظروف التى ينبغى توافرها للروح أثناء تطورها التقدمى. وما أكثر ما تناول أفلوطين فى دروسه هذا المذهب وخاصة فى «**تساعياته**»، حيث يقول: «أن هذه العقيدة قديمة وعالمية، وتنص على أن الروح إذا أقترفت أخطاء فى تجسدها حُكم عليها بالتكفير عنها فى المناطق الدنيا من العالم الروحى، إلى أن يُسمح لها باحتلال جسد جديد لتبدأ دورتها التالية». بينما أضاف چامبليك قائلاً: «إن الآلام التى تكابدها عادة ما تكون عقابا عن أخطاء ارتكبتها الروح فى حياة سابقة».

ومن الفلاسفة والأدباء الرومان الذين استقوا معارفهم من اليونان يعبّر ڤيرچيل بوضوح عن فكرة إعادة التجسد قائلاً: «إن الله يستدعى تلك الأرواح التى أدارت عجلة الوجود عبر ألف عام. ليغمرها فى نهر ليثيه (نهر النسيان) كى يمحو ذاكرتها وتبدأ فى العودة من جديد». كذلك آمن الغاليون بتتالى الحيوات، فسجّل قيصر خلال «حرب الغال» أن قومه يؤمنون بأن الأرواح لا تفنى قط بعد الموت بل تعود إلى التجسد من جديد».

وما أكثر ما عبّر المؤرخ فلاڤيوس چوزيف عن إيمانه بإعادة التجسد، الذى كان من بين عقائد الفرس منذ القِدَمْ. وكان أوريچين، دونًا عن كافة آباء الكنيسة، هو أكثر من أكد فى أجزاء متعددة من «**الكتاب الأول للمبادىء**» مذهب إعادة التجسد. وفى القرن الخامس عشر دافع الكاردينال نيكولا دى كوزا فى الفاتيكان، وبمساندة اثنين من البابوات هما أوچين الرابع ونيكولا الخامس، عن عقيدة إعادة التجسد. ورغم ذلك استطاعت الكنيسة التعتيم عليها وإدانتها.

وعادت الفكرة إلى الظهور فى العصور الحديثة على يد الفيلسوف

لايبنيتز، وتبعه العديد من المفكرين مثل دوبون دى نمور، وشارل بونيه، ولسينج، وكونستان سافي، وبيير ليرو، وفوربيه، وجان رينو. وانبرى العديد من الأدباء يطرحون هذه النظرية على الرأى العام فى مؤلفاتهم، ومن بينهم بلزاك، وتيوفيل جوتييه، وجورج صاند، وفيكتور هيجو الذى ظهرت له مؤلفات فى الروحية.

والجدير بالذكر فى هذا السياق أن علماء الروحية المؤمنين بإعادة تجسد الروح فى دورات متتالية عبر مسيرة تطورها، يرفضون تماماً فكرة التناسخ بمعنى حلول روح الإنسان فى جسم حيوان - كما ينادى البعض عن جهل.. فمن تعاليم الروحية أن الروح لا تتقهقر فى تدرج رقيها لتنتقل من إنسان إلى حيوان.

ومن الأدلة التي يقدمها علماء الروحية عن صحة نظرية إعادة التجسد، ما ينتاب بعض الأشخاص من ذكريات أو أصداء من بعيد، وكثيراً ما تؤثر هذه المشاعر على التصرفات فى الحياة اليومية. فثمة العديد من النماذج الاستثنائية على مر التاريخ لأشخاص احتفظوا بذكريات حيواتهم السابقة.

ومن الوقائع المتداولة أن الفيلسوف فيثاغورث كان يتذكر ثلاثة من تجسداته السابقة فضلاً عن الأسماء التى كان يحملها. أما چوليان المشهور فى الكنيسة والتاريخ بـ«المرتد»، وكان فى واقع الأمر من كبار شخصيات التاريخ الرومانى، فيذكر أنه كان فى الماضى الإسكندر المقدونى. وخلال القرن التاسع عشر أعلن الأديب الفرنسى لامارتين فى مؤلفه المشهور «**رحلة إلى الشرق**» أنها كشفت له عن أصداء شديدة الوضوح لحياته السابقة. وما أكثر ما أرجع المؤرخون نبوغ المؤلف الموسيقى موزار إلى تراكم قدراته الفذة عبر تجسدات سابقة، فقد عزف سوناتا للبيانو وهو ما يزال فى سن الرابعة، وقام بتأليف أوبرا فى سن الثامنة.

كذلك أبهر كل من بجانينى وتيريزا ميلانللو أثناء طفولتهما المجتمع

الإيطالى ببراعة عزفهما على الكمان. وكم حصد ليسْتْ وبيتهوڤن وروبنشتاين الهتافات والتصفيق فى سن العاشرة.

وقد اكتشف باسكال هندسة السطوح فى الثانية عشر من عمره، وكان الفنان المصور رامبرانت فى نفس هذه السن يجيد القراءة والرسم كأحد كبار الفنانين.

أما هنرى دى هنكن المولود فى مدينة لوبك عام ١٧٢١ فيقال انه نطق متحدثاً عند مولده، وفى الثانية من عمره كان يجيد لغات ثلاث، وتعلم الكتابة فى غضون ثلاثة أيام. وفى الثانية والنصف من عمره اجتاز امتحانا للجغرافيا والتاريخ القديم والحديث.. ولم يكن يتناول سوى لبن مرضعته. وعندما حاولوا فطامه انزوى وضمر ومات فى ٢٧ يونيو عام ١٧٢٥ قبل أن يتم الخامسة من عمره، مؤكداً لأهله عند وفاته أنه سيتجسد من جديد!

أما الأستاذ إيان ستيڤنصن، رئيس قسم علم النفس بجامعة شارلوتڤيل بولاية ڤيرچينيا، فقد أحصى ما يربو على ١٦٠٠ حالة يتذكر أصحابها حيواتهم السابقة، وقد اختار من بينهم أكثرهم غرابة وأودع سيرتهم كتابه المعنون: «**عشرون حالة تؤكد ظاهرة إعادة التجسد**».

وقد جرت مناقشة إمكانية استعادة ذكرى الحياة أو الحيوات السابقة فى المؤتمر الروحى المنعقد فى باريس عام ١٩٠٠. ولا يمكننا إغفال أنشطة عسيد كلية الهندسة بباريس، الكولونيل دى روشا ومؤلفاته، وخاصة كتابه المعنون: «**الحيوات المتتالية**».

وبتناول هذه الجزئية من البحث نحن لا نتعارض مع الإسلام ووجهة نظره فى هذه القضية، وإنما نعرض لما توصل إليه الغرب والحضارات الأخرى. خاصة وأنه مامن إنسان منّا إلا وكانت له تجربة ما بالمجال الغيبى؛ كما أن القرآن الكريم ملئ بالإشارات التى قد تعاوننا على مزيد من الفهم إذا ما تناولناها بالدراسة الموضوعية.

* * *